وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

حوارات التكوين.. مشروع جديد تطلقه مدارك

مدارك / 2010-01-05

حوارات التكوين.. مشروع جديد يطلقه موقع مدارك في مستهل العام الجديد 1431هـ؛ حيث استطاع فريق مدارك أن يلتقي بأكابر علماء ومفكري الأمة الإسلامية محاورا إياهم حول حياتهم العلمية والإنسانية، وأهم المحطات والمنحنيات التي ساهمت في تكوينهم الفكري والإبداعي.

وإذا كان تراثنا العربي قد شهد أكبر حالة توثيق منهجي لطبقات العلماء والمصنفين، حتى إن مجرد ذكر اسم مثقف قديم يأخذك مباشرة إلى أوصافه وأخلاقياته ومنهجه وتحولاته وأحواله، فإن حوارات التكوين تستأنف هذا الرصد متوقفة أمام سِيَر صناع المعرفة المعاصرة.

في هذه الحوارات خريطة مفصلة لحياة هؤلاء العلماء: كيف نشئوا، وأين تربوا، وماذا قرءوا، وكيف يكتبون، وكيف تفوقوا، وكيف وصلوا إلى الناس.. بانوراما كاملة عن أدق التفاصيل في حياتهم: النشأة والبدايات والبيئة الأسرية والاجتماعية، والطموح، والمؤثرات الإنسانية والاجتماعية، ومعالم الشخصية، والمزاج، وتقاليد الكتابة ، وأبرز المثل والقيم التي تربوا عليها ونشئوا خلالها، والشخصيات والمعلمون والمؤثرون والموجهون الفكريون، ومنهج التكوين لأي منهج ينتمي، والجدول المفاهيمي والاصطلاحي والدلالي الموظف والمضمن في مشروعاتهم الفكرية.

يأتي هذا المشروع إيمانا من أصحابه -فريق مدارك- بأن قيمة المثقف لا تكمن في سطوره فحسب وإنما في حياته وأفكاره ومنطوقاته وتحولاته ومجلسه، ونظام الإنتاج المعرفي الذي يحيط به، وإنجازاته، وإحباطاته، وتكوينه، وخبراته الحياتية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويلتقي القارئ من خلاله بأسماء مثل: طارق البشري، وكمال إمام، وطه جابر العلواني، وجاسم سلطان، وحسن مكي، ومحمد يحيى، وعبد الحليم عويس، وقاسم عبده قاسم...إلخ، ويتعرف من خلالهم على ملامح زمن عربي مضى ولم يترك خلفه سوى تجارب العلماء والمفكرين وذكرياتهم التي يحملها إليكم تباعا موقع مدارك.

مشروع التكوين الذي نطلقه هو حلقة وامتداد لمشروعات مهمة حدثت داخل الإعلام العربي، حاولت رصد تجارب المفكرين، وتأتي مجلة الهلال بقيادة الكاتب مصطفى نبيل في طليعة تلك التجارب، فضلا عن عدد من البرامج الإذاعية المهمة مثل البرنامج الإذاعي: "شاهد على العصر" الذي كان يبث على اذاعة البرنامج العام بصوت المذيع المتميز عمر بطيشة، وبرنامج: "زيارة خاصة" على قناة "الجزيرة" وتجارب أخرى كثيرة .. نحن حصيلة كل هذا وجوابه وصداه، ونستأنف رحلة أخرى تضيف إلى أدب التكوين خطوة..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مدارك تبحر في "تكوين" المفكرين والعلماء

البشري: قرأت "المعري" وأنا ابن 8 سنوات!

(3-1)

حوار – إسلام عبد العزيز – عبد الله الطحاوي / 2010-01-06

http://mdarik.islamonline.net

البشري يحاور مدارك"طارق".. هكذا بلا ألقاب يوجهك زر جرس منزل المستشار الأستاذ طارق البشري..! يفتح لك الباب فتدخل، أنت في حضرة "الطارق" الذي أشدت نغماته المعرفية وجدان جيل بأكمله، تلقوا العلم والمنهج أو "الطرق المعرفية".. فأضحت مدرسة "البشرية" الإسلامية عنوانا مهما داخل الحركة المصرية الثقافية بل والعربية لثلاثية "المؤرخ والمفكر والقانوني".

لوحة القطار والراكب الصعيدي القادم من عمق البيئة المصرية معلقة على الحائط، ثم مكتبة تحمل عينة من كتب أبرزها "الظلال" وبعض الكتب الشرعية، وإصدارات مركز دراسات الوحدة العربية.. وقبل هذا طبعة مهيبة من القرآن الكريم.

الجو إذن مشحون بإيحاءات بالأريحية جعل حالة تأهبنا النفسية لحوار مع المستشار طارق البشري تعلو؛ ذلك لأننا ندرك أنها مغامرة صحفية وفكرية، سببها أننا نجلس إلى رجل يسمع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويقرأ ويتأمل أكثر مما يتداخل ويشتبك ويقرر، فالقراءة والتعلم والاستزادة عند طارق البشري حاجات بيولوجية، إن جاز للنفس والعقل والروح أن يكون لهم متطلبات لا يحيوا بدونها.

أكثر من ثلاث ساعات أقر البشري بعدها أنها أول مرة يتحدث فيها بحوار بذلك الطول، وهذا الجزء تحديدا من الحوار يأخذك إلى البشري الإنسان: الطفل الذي نشأ في بيت جده سليم البشري شيخ الأزهر الشريف، والشاب الذي أدركته "نداهة" القرية فكان بين القرية والمدينة.. بين مكتبة جده لأبيه ومكتبة جده لأمه سائحا لا يعرف الكلل.

والرجل الذي شهد الحركة السياسية المصرية في أوجها، وتفاعل مع متطلبات الحركة الوطنية، وتقلب بين الأفكار المختلفة فكرا وممارسة، وخرج من عباءة أجداده إلى العلمانية السياسية والصوفية الوجدانية، والحضارة الغربية وفلاسفتها وفنانيها.

تجربة بحجم الجيل الذي يمثل البشري أكثر تجلياته صدقا وشفافية ووعيا بحركة المجتمع، وقيمة تجربته الفكرية والثقافية، ومدى تحققها الوجودي.. تجربة نعرض لملامحها الرئيسية في هذا الحوار:

* الميلاد كان في 1933/11/1 فماذا عن ميلاد الوعي؟

– تفتح الوعي وإدراك العالم من حولك يبدأ في السابعة أو الثامنة.. كانت هذه الفترة في حياتي هي فترة الحرب العالمية الثانية، ولم تكن مصر ميدانا أساسيا للمعارك، ولكن كان فيها عدد ضخم من الجنود الإنجليز وحلفاء الإنجليز، ومن المجندين من الهند وجنوب إفريقيا، وجيوش الحلفاء.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وكانت غارات الألمان تتوالى على مصر، وروميل يتقدم في شمال الساحل الإفريقي من ليبيا إلى مصر، ويصل إلى العلمين، ويسيطر على مرسى مطروح، ويهدد الإسكندرية في عام 1942م.

الإسكندرية تتلقى ضربات جوية كثيفة، وسكانها يتعرضون لعملية تهجير واسعة إلى جنوب القاهرة ومناطق أخرى في الدلتا.. المخابئ في كل مكان.. الألمان قادمون!.

في هذا الوقت كنت أنا في حلمية الزيتون؛ حيث ولدت ونشأت ومكثت هناك إلى الثامنة عشر من عمري.

* وكيف كانت تبدو حلميتكم وسط كل هذا الضجيج؟

– كان بجوار حلمية الزيتون معسكر إنجليزي كبير، بالتحديد بين حلمية الزيتون ومصر الجديدة، وكان هدفا لضربات الطائرات الألمانية.

كنا نشاهد الإنجليز وهم يجوبون الشوارع، وكانت النساء تخشى الخروج مساء حتى لا يتعرض لهن أحد الجنود الإنجليز.

لم يكن يشغل بالنا في هذا الوقت سوى قضيتين أساسيتين: قضية التحرر من الإنجليز، ومسألة تقييد سلطات الملك والحكم الديمقراطي، تقرأ في الصحافة، وفي الكتب، وفي المجلات فتجد دائما انعكاس هذا الوضع على الجميع.

لم تكن الحلمية من الأحياء الثرية، كما أنها ليست من الأحياء الشعبية، كانت حيا من أحياء الطبقة المتوسطة، ليس بها عمارات، وإنما بيوت "مملوكة"، طابق أو طابقان، بعد ذلك بسنين طويلة نشأت العمارات.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تكاد تعرف المحيطين بك بأسمائهم وأشكالهم، تلقي عليهم السلام حين تلقاهم، وكان يربط الحلمية بالقاهرة خط السكة الحديد الذي يبدأ من المرج وينتهي عند باب الحديد في وسط البلد.

وكانت الناس تلتقي فيه كل يوم في نفس الميعاد فيتعارفون، وعلى الأقل في كل قطار تركبه سترى عددا من الوجوه تعرفها وتسلم عليها، وحتى بعد أن تركنا هذا القطار بسنين طويلة كنا إذا التقينا بواحد من هؤلاء سلمنا عليه بحرارة وترحاب شديد لأنه ابن الخط!.

البيت الكبير

* وماذا عن بيت البشري؟

– والدي كان يسكن في السيدة زينب في حي البغالة، وبعدها انتقل إلى بيت حلمية الزيتون، وهو بيت له حديقة واسعة جدا، ولكنها جرداء إلا من نخلتين وشجرة كافور؛ فلم يكن لدينا من المال ما يكفي لرعاية حديقة غناء في هذا الوقت.. كنا نعيش براتب أبي، وكان لأمي قطعة أرض صغيرة إلا أن دخلها لم يكن أساسيا في وضعنا المعيشي.

البيت كان عبارة عن ثلاثة أدوار.. كل دور به شقتان، وكل شقة يسكن فيها أحد أبناء الشيخ سليم البشري، وهم أحد عشر ابنا متناثرين بين بيتي الزيتون والبغالة وأماكن أخرى متنوعة.. حياة مستقلة، ومودة قائمة، وتقارب، وعلاقات يومية حميمة.

* جدك الشيخ سليم البشري هو أحد أهم شيوخ الأزهر الشريف، وكذلك عمكم الأديب الأستاذ عبد العزيز البشري من الأدباء المعروفين في عصره.. كيف كنت ترى تلك القامات؟

– الشيخ سليم البشري توفي في عام 1917 عن 85 عاما، وكان شيخا للأزهر، ومكث في الأزهر من عام 1900 إلى عام 1904، ثم أقصي عن المنصب بسبب خلاف له مع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الخديوي دفاعا عن استقلال الأزهر في تعيين الأساتذة والشيوخ، ثم عاد بعد 3 سنين شيخا للأزهر مرة أخرى.. وقبل أن يعود عين ثلاثة شيوخ للأزهر إلى أن عاد في عام 1907 ليظل شيخا للأزهر حتى وفاته عام 1917.

وكان –رحمه الله تعالى– من محققي الأحاديث، وله فتاوى، وحواشي على كتب قديمة، وكان شيخ السادة المالكية في مصر حوالي 30 سنة، من 1887 إلى 1917، وذلك بعد أن انتقلت له مشيخة المذهب من الشيخ عليش.

وشيخ السادة المالكية في ذلك الوقت إما أن يكون شيخا للأزهر أو يكون الرجل الثاني في المؤسسة الدينية.. كان هذا هو الوضع التقليدي المعمول به أيامها!

ولم يترك الشيخ مالا، وإنما ترك بيتا في الحلمية وبيتا في البغالة.. كلاهما كان ملكه، وهما البيتان اللذان ضما أولاده وأحفاده بعد ذلك، وفي أحدهما نشأتُ وتربيتُ كما قلنا.

نصائح ملزمة

*كان هذا أيام الإمام محمد عبده؟

– محمد عبده كان المفتي وقتها، ووقع بينهما خلاف؛ لأن الشيخ سليم كان محافظا فكريا، وقد كتبت في مقالة عن الأزهر الشريف أصف حاله آنذاك، وقلت إن الإنجليز لما دخلوا مصر سنة 1882 سيطروا على جهاز إدارة الدولة، عن طريق المستشارين الذين زرعوهم في كل أجهزة الدولة، وفي كل الوظائف ثمة عدد من الإنجليز تئول إليهم الأمور، وتصدر قراراتهم برسم الوزير.

ولم يكن الوضع في مصر يسمح بأكثر من هذا؛ لأنهم دخلوها بعد ثورة شعبية، فاكتفوا بهذا الأمر عن طريق علاقتهم بالخديوي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ثلاث مناطق لم يحاولوا الدخول فيها وتركوها للخديوي، وهي: الأزهر، والأوقاف، والمحاكم الشرعية، وإن كان أقربهم لسلطة الإنجليز هي المحاكم الشرعية؛ لأنها داخل نطاق الحقانية التي يقبع فيها مستشار إنجليزي.

كان هذا بعد استقرارهم واطمئنانهم على أن الأمر آل إليهم تقريبا، ولم يعودوا بحاجة إلى جند كثيرين ليحفظوا الأمن، وكانت سياسة كرومر وقتها هي إدارة مصر بالتوازنات الداخلية، وبالنصائح الملزمة.. هذا الثبات يجعل كل القوى متوازنة لصالحه.

* نصائح ملزمة؟!

– نعم.. نصائح بمرتبة الأوامر، هكذا أرادوا أن يدخلوا هذه المناطق الثلاث المغلقة من دونهم: الأزهر، والمحاكم الشرعية، والأوقاف.

أيامها فكروا في إصدار قانون يجيز النقل من محاكم الاستئناف الأهلية إلى المحكمة الشرعية، ويجيز لوزير العدل أن ينقل مستشاري محكمة الاستئناف إلى المحكمة الشرعية العليا؛ وهو ما اعتبره رجال القضاء الشرعي انتهاكا لهم، وتدخلا في شئونهم، وكان الشيخ محمد عبده مستشار محاكم الاستئناف، وكانوا يريدون أن ينقلوه للمحكمة الشرعية بهذا الشكل ليفتحوا به الباب لتدخل الإدارة الإنجليزية في تشكيل المحاكم الشرعية.

وقف ضدهم الشيخ حسونة النواوي شيخ الأزهر وقتها، وفي هذا التاريخ كان هناك منصب شكلي يتعلق بالعلاقة الافتراضية بيننا وبين الدولة العثمانية، وهو منصب قاضي القضاة، الذي يأتي من إستانبول، وكان اسمه وقتها جمال الدين أفندي، ولم يكن لهذا الرجل "شغلانة" إلا أن يرأس المحكمة الشرعية، فتحالف الشيخ حسونة النواوي مع جمال أفندي لكي يمنعا هذا التسرب إلى المحكمة العليا الشرعية من القضاء العالي الذي يمكن أن يتأثر بنفوذ الإنجليز.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وكان أن تفجرت القضية وأصبحت قضية رأي عام، ولم يستطع الإنجليز أن ينفذوا قانونهم نتيجة الضغط والهياج الشديد حيال الموضوع، ولكن ترتب على ذلك أمران:

الأمر الأول: عزل الشيخ حسونة النواوي من مشيخة الأزهر؛ لأنه تجرأ وعارضهم.

الأمر الثاني: فصل الإفتاء عن مشيخة الأزهر؛ فالإفتاء ومشيخة الأزهر كانا منصبا واحدا.

وعينوا الشيخ محمد عبده مفتيا، تابعا لوزارة الحقانية، وعينوا الشيخ عبد الرحمن قطب شيخا للأزهر، وتوفي الرجل بعد شهر من هذه الواقعة، فبادر رجال الأزهر بتقديم الشيخ سليم البشري؛ لأنه أقدم واحد، وهو رئيس السادة المالكية، وعين شيخا للأزهر.

وأغلق هو الطريق دون أي تدخل إنجليزي في هذا الشأن، ولذلك لما اختلف مع الخديوي بشأن استقلالية الأزهر لم يجد من يحميه فخرج، وعاش الرجل هو وأولاده بدخله من مشيخة السادة المالكية وهو 12 جنيها.

*كان هذا في 1904؟

– نعم.. وكان المبلغ في ذلك الحين مناسبا جدا وكافيا!

وبالمناسبة كان هذا هو السبب الرئيسي في خلاف الشيخ سليم البشري مع الإمام محمد عبده، فالشيخ عبده –كما كتب عنه الدكتور محمد عمارة– مجدد فكري وفقهي، وهذا ما أبقاه لنا.

أما في علاقاته السياسية فكان يرى أنه من الممكن أن يتعامل مع الإنجليز؛ لتحقيق ما يريد أن يحققه من الإصلاح الداخلي والتعليم!.

* وماذا عن الأستاذ عبد العزيز البشري؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

– كان أديبا شهيرا في زمنه.

* هل أدركته؟

– توفي وأنا في التاسعة من عمري، لكنه لم يكن معنا في نفس البيت، فقد كان يسكن في حلوان، وتوفي فجأة عن عمر يناهز 57 عاما، وكانوا يسمونه جاحظ العصر.

* وماذا عن أصول عائلة البشري؟

– جدي الشيخ سليم كان من محلة بشر في البحيرة، مركز شبراخيت، ونزح عنها فلم يرها أبي الذي ولد في القاهرة وكذلك أنا.

* وما سبب نزوحه عنها؟

– طلب العلم، وفقر الجد في هذا الوقت وعدم ملكيته لأي شيء في هذه القرية، كل هذا تسبب في الانقطاع التدريجي لصلته بهذه البلدة، ولم يبق منها غير علاقته بأقاربه هناك.

ولذلك استمر في القاهرة طوال عمره، وأولاده كلهم ولدوا في القاهرة، ونشئوا واستمروا فيها، وأنا من هؤلاء.. فأنا قاهري أبا، والنازح من القرية كان جدي في منتصف القرن التاسع عشر.

أما بالنسبة لأمي فكانت من قرية الدير وهي إحدى قرى القليوبية القريبة من شبين القناطر، وكان لأسرتها بعض الأراضي الزراعية، وقرية أمي هي التي تعرفت فيها على الريف المصري.

وكان جدي لأمي موجودا حيث مات وأنا في الحادية عشر من عمري، وكان خالي أيضا موجودا، ومات وأنا في العشرين من عمري، وبعدها انقطعت صلتنا بالقرية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

عرفت القرية بشكل قوي وعميق في هذه الفترة، حتى سن العشرين؛ لأنها كانت قريبة من حلمية الزيتون.. بيننا وبينها 35 كيلو، نذهب في عربة أجرة توصلنا في دقائق، فكانت أي إجازة دراسية من المدرسة تزيد عن ليلة واحدة نقضيها في القرية، إضافة إلى إجازة الصيف كلها، فعرفت القرية بشكل جيد خلال سني الطفولة والصبا.

واللافت أن القرية كان اسمها الدير في حين لم يكن بها قبطي واحد!، ولم أكن أعرف سر التسمية رغم خلو القرية من الأقباط، حتى وجدتها في كتاب القاموس الجغرافي، وهو الكتاب الذي ألفه محمد بيه رمزي عن قرى مصر الـ4000، وأورد فيه تاريخ كل قرية، وعرفت منه أن قرية الدير يرجع تسميتها إلى دير قديم كان فيها في العصور الوسطى.

البشري الأب

* وماذا كان عمل الوالد؟

– أبي كان قاضيا، تخرج من كلية الحقوق في السنة التي توفي فيها أبوه، وكان أصغر إخوته، وعمل في النيابة، وتدرج في المناصب حتى وصل إلى رئيس محكمة الاستئناف، وتوفي وهو في الخدمة عن عمر يناهز 57 عاما، وكنت أنا في السابعة عشر من عمري.

* قاضي مفكر؟

– لا لا، قاضي وحسب، ليس له أي كتابات أخرى غير عمله القضائي، وإن كانت له اهتماماته الثقافية بالطبع، فهو من جيل ثورة 19، وهو الجيل الذي تربى على المشروع الوطني ولم يكن منه من يرى في الإنجليز رأيا إيجابيا أبدا، كما نجد الآن من يرى التطبيع مع العدو الإسرائيلي، وكان للوالد آراؤه السياسية التي تتسق مع توجهات هذه المرحلة، لكنه لم يعمل بالسياسة بشكل تنظيمي أبدا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وكان لديه نفس نزوع الجد الاستقلالي ونفس قوته وجديته، ويبدو أن فكرة الاستقلال هذه هي نزوع نفسي وسلوكي وقيمي يأبى على الهرمية الإدارية التي تتشكل من رئيس ومرءوس وأوامر يتلقاها المرءوس من الرئيس بشكل هندسي واضح.. هذه الاستقلالية لا تصلح بالنسبة للموظف الإداري، ولا تصلح في الجيش، لكنها مطلوبة في القضاء والأزهر الشريف؛ فالتكوين التنظيمي للمؤسسات العلمية والقضائية يسمح بها.

* وهل كان الوالد يوجهك إلى جهة بعينها؟

– كان لوالدي رحمه الله ولدان دخلا كلية الحقوق: أخي الكبير يحيى –رحمه الله – وأنا، أما أخي ظافر فدخل كلية التجارة.

والحق أن الوالد لم يكن يجبرنا على شيء؛ فقد كان –رحمه الله– يرى أن المستقبل في مصر ليس للكليات النظرية، وكان دائما ما يقول: المستقبل للميكانيكا وللكهرباء؛ لأنهما أساس النهضة، ومع هذا تركنا لاختياراتنا.

* وماذا عن مرحلة ما قبل المدرسة.. الكُتاب مثلا؟

– لا، لم يكن هناك كتاب، ولم أدخل الروضة لإصابتي لمدة طويلة بالتيفود، ولكن جاءوا لي في البيت بمن يعلمني القراءة والخط والحساب، بعدها دخلت شيئا اسمه "قبول ابتدائي"، ثم التحقت بالمدرسة صغيرا حتى إنني أخذت الليسانس وأنا عمري 19 سنة! مع العلم أن الابتدائية القديمة أيامها كانت عشر سنين ونصف!.

وبالمناسبة هذا ليس ذكاء ولا عبقرية، فقط دخلت مبكرا ولم أرسب في أي سنة فتخرجت مبكرا ببساطة.

* ألم تساورك فكرة التعليم الديني وحفظ القرآن الكريم لاسيما وأنت حفيد الشيخ سليم البشري؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

– الجو الديني كان موجودا والحياة الدينية كذلك، والوجد الديني موجود دائما في الحياة اليومية وفي التربية، لم أدخل كُتابا، ولم يجبرني أبي على حفظ القرآن رغم أنه دخل الكتاب، وكنت أقرأ القرآن كثيرا جدا، وإن لم تأتني فكرة حفظه كاملا.

اهتممت بالقراءات الدينية منذ الصبا، وساعدتني مكتبة جدي الشيخ سليم البشري، التي آلت بعد ذلك إلى الأزهريين من أولاد الشيخ سليم، وهم ستة مشايخ من مجموع 10 أولاد: 8 ذكور وبنتان.

بعد ذهاب مكتبة جدي انصرفت إلى مكتبة أبي، وكان عنده مكتبة دينية وقانونية قوية، وكان يقرأ في الأدب كثيرا، وكان عندي أيضا مكتبة دينية أخرى في القرية وهي مكتبة جدي لأمي، الذي كان شافعيا ومعه العالمية من الأزهر الشريف، وكنت أقرأ معه فيها في شهور الصيف.

*البدايات كانت دينية إذن؟

– نعم.. وكنت أقرأ في الأدب أيضا، قرأت "سقط الزند" مثلا وعمري 8 سنوات، واجتهدت أيضا مع اللزوميات وقرأت شروحها، وقرأت لـ"أحمد شوقي" و"علي الجارم" مع المتابعة المتواصلة للصحف والمجلات، ولا أذكر أنني لعبت كثيرا في هذه السن.

* كنت هادئا؟

– شكلي كان يوحي بذلك، وأذكر أنهم كانوا في هذه الفترة يتبعون نظاما يقضي بأن يكتب المدرس تقريرا عن كل طالب مع امتحان الشهر، وكتب عني الرجل أنني هادئ ورزين، وقلق أبي كثيرا من هذا.. طفل عمره 8 سنوات يقال عنه هادئ ورزين؟!.

* تقرير عن كل طالب! هل هذه مدرسة حكومية؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

– نعم.. ففي هذا الوقت كان التعليم في مصر يتمتع بقدر لا بأس به من الاحترام والجدية.

مصر البشري!

* وماذا عن المدرس في ذلك الوقت؟

–كان منهم –ولا –شك من يعتقد أنه يتقاضى أجره مقابل عمله وحسب، لكن كان هناك الكثيرون جدا من الذين يعتقدون في رسالية ما يقومون به، وهو تنشئة الأجيال؛ الأمر الذي كان يهون عليهم قلة الأجر، ويعوض الجانب المادي بآخر معنوي أكثر منعة أمام إغراءات الحياة.

أذكر من هؤلاء الأستاذ محمود الخفيف مدرس التاريخ في المرحلة الثانوية، وقد ألف هذا الرجل أهم كتاب –في ذلك الوقت– عن الزعيم أحمد عرابي وكان بعنوان: "أحمد عرابي المفترى عليه"، وهو أول كتاب ينصف "عرابي" من العائلة المالكة أيام الملك فاروق، ويقول في جرأة وصراحة إن الخديوي توفيق كان متواطئا مع الإنجليز، ويثبت ذلك بشهادات ووثائق تاريخية.

* مدرس ثانوي؟!

– نعم.. وكانت حصصه ممتعة إلى درجة أنني لا أبالغ إذا قلت إن سر تعلقي بالتاريخ طوال حياتي هو أنني تتلمذت على محمود الخفيف.

* وكيف كانت طبيعة المناهج؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

– أنا أذكر جيدا أننا كنا ندرس تاريخ أوروبا في القرن الـ19، وحركات الوحدة والتحرر الثورية، وحركات مكافحة الاحتلال الأجنبي: الثورة الفرنسية، والوحدة الألمانية، وثورة إيطاليا على احتلال النمسا لها، وكان مؤلفو كتاب الوزارة هذا أساتذة أجلاء منهم: محمد قاسم، وحسين حسني، وغيرهم.. كانوا تربية الحزب الوطني القديم، وكنا نحب مادتهم لدرجة أننا كنا نقرؤها في أيام الإجازات استمتاعا لا مدارسة.

فالكتاب كان يتمتع بشحنة غير عادية من الوجد الوطني، والمشاعر القومية الصادقة، والليبرالية، وكان مكتوبا بلغة سلسة رشيقة جذابة، حتى إنني أحفظ منه عبارات حتى الآن!.

* وماذا عن المواد الأخرى؟

– كتاب الأدب مثلا كان من تأليف طه حسين، وأحمد أمين، وعبد العزيز البشري، وعلي الجارم، وشوقي ضيف.. وكان فيه مختارات من النصوص الأدبية المتنوعة والمنتقاة بعناية من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، وما زلت أحتفظ بهذا الكتاب حتى الآن.

* من الواضح أن أجهزة الدولة في عصر الاحتلال كانت يقظة وفعالة وعلى درجة كبيرة من الوعي..

– هؤلاء أبناء ثورة 19 الذين صنعتهم الثورة على عينيها، ولذلك يعتقد البعض أنها ليست مجرد ثورة وإنما نهضة حقيقية أخرجت لنا علماء أفذاذ في كل مجال مثل: عبد الرزاق السنهوري في القانون، وطه حسين في الأدب... إلخ.

البشري: التبشير أعاد جيلي إلى الإسلام!

This file was downloaded from QuranicThought.com

أمران إذا تم ذكرهما لدى المستشار البشري كان في غاية الانتباه: الفقه والتاريخ! التاريخ مع الأستاذ محمود الخفيف مدرس الثانوية الذي لفت نظر الشاب طارق البشري إلى أن التاريخ هو مجدد الوطنية.. والفقه الذي يدرسه في كلية الحقوق على يد عمالقة الأصول، وعلى رأسهم الشيخ عبد الوهاب خلاف، والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ علي الخفيف، الذي وهبه عقلا علميا منهجيا.

في هذا الجزء –الثاني– من الحوار مع المستشار طارق البشري يتحدث عن وجه لم يره أبناء هذا الجيل لمصر: مدارسها، وأساتذتها، وطلابها، وثقافتهم، وانتماؤهم، وتوجههم السياسي، وقضيتهم.

ويأخذنا الفقيه القانوني الكبير إلى كلية الحقوق في هذا الزمن، وشيوخها الكبار، وكيف كانت مصر تمتلك كوادر قانونية رفيعة المستوى.

ويجيب المستشار البشري في هذا السياق على السؤال الأكثر أهمية بالنسبة لجيله، وهو: هل تراجع الإسلام في هذه المرحلة عن دوره السياسي والثقافي؟

ويبقى جانب مهم علق في سنوات تكوينه وهي الرسالية الوظيفية، التي راقبها في عدد من معلميه، ومن الرسالية تتعمق عقيدة الاستغناء، والمنعة النفسية ضد الإغراءات.

* دعنا نبتعد عن المدرسة والمناهج .. ماذا عن أبناء ثورة يوليو؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

** في 23 يوليو كان ثمة نهضة أيضا: في الزراعة، والصناعة، والخبرات الفنية، وكانوا إذا أرادوا أن يبنوا 1000 مصنع فعلوا ذلك، بحيث يكون المصنع مصنعا وليس دكانا مثل: كيما، والألمنيوم، والحديد والصلب، ومصانع النسيج، وغيرها.

وفي حرب 73 كنا نعتمد على إنتاج هذه المصانع، ولا ننسى أنهم استصلحوا مليون فدان أرض زراعية في 15 سنة!

كل هذا فعله جيل ما قبل ثورة يوليو، حين منحته ثورة يوليو الفرصة ليعمل ويبدع، ويمكننا هنا أن نتحدث عن أسماء هامة مثل: أحمد بهاء الدين، وكامل زهيري، وفتحي غانم، وعزيز أباظة، وصلاح عبد الصبور، ولا مقارنة بين هذا والتراجع الموجود في الـ30 سنة الأخيرة التي شهدت تراجعا كبيرا.

*من الثلاثين الأخيرة إلى الثلاثين الأولى من عمر طارق البشري "الشاب".. كيف تحدثنا عن توجهاته السياسية؟

** في مرحلة الشباب كنت أقرب للحركة الوطنية التقليدية المتمثلة في حزب الوفد القديم، وكان الموقف السياسي يتمحور حول قضيتين رئيسيتين وهما: التخلص من الاحتلال الإنجليزي، وتحقيق الديمقراطية، ولم يكن هذا انتماء تنظيميا، ولكنه هواي السياسي الخاص في هذه الفترة؛ لأنني بطبيعتي لا أحب الانتماء الحزبي، وإنما أحب الاستقلال، وهو قرب وجداني إن صح التعبير.

* وماذا عن العمل "الوظيفة"؟

**"اتعينت" وعمري 20 سنة، بعد تخرجي بعام واحد، أي في عام 1954.

مدرسة الحقوق

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

* درست في كلية الحقوق في فترة زاهرة؛ حيث الإمام محمد أبو زهرة، والشيخ عبد الوهاب خلاف، وعبد الرزاق باشا السنهوري، وغيرهم.. كيف كانت مدرسة الحقوق وتاريخها ودورها في العمل الوطني في مصر؟

** نحن لم ندرس على السنهوري.. كان قد خرج من كلية الحقوق، وإنما درسنا على تلامذته مثل الدكتور حشمت أبو ستيت، والدكتور عبد الفتاح عبد الباقي، وغيرهما.

درسنا الفقه الإسلامي في السنة الأولى على الشيخ علي الخفيف، ثم على يد الإمام محمد أبو زهرة في السنة الثانية ونصف السنة الثالثة، ثم الشيخ عبد الوهاب خلاف في النصف الثاني من السنة الثالثة، والسنة الرابعة كاملة.

وأكثر مادتين كنت متعلقا بهما كانتا: الشريعة الإسلامية، والقانون المدني.

وكان الشيخ عبد الوهاب خلاف يدرس لنا أصول الفقه؛ لأنه كان أصوليا، وكتابه كان صغيرا (200 صفحة)، وأذكر أنه أضاف إليه نصف صفحة في باب الاستصحاب، فأخبرنا بذلك، وقال من كان لديه النسخة القديمة فلا يشتر الجديد، وإنما يكتب ورائي، ثم أملى علينا ما أضافه حتى يوفر علينا ثمن شراء نسخة جديدة من الكتاب، انظر إلى أستاذ الجامعة العظيم!

* الإضافة كانت نصف صفحة فقط.. إلى هذا الحد من الدقة؟

** نعم.. فالقضية ليست قضية حشر فصول؛ فالأمر شديد التركيز والجدية، وما زال عندي الكتاب إلى الآن وفيه ورقة بخطي تحمل ما أملاه علينا الشيخ خلاف رحمه الله تعالى، ولم تكن النسخة من الأصل نسختي وإنما هي نسخة يحيى أخي الذي سبقني في دراسة الحقوق.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

* وما الاختلاف الذي يحققه تدريس الشريعة في كلية الحقوق عن تدريسها في الكليات الشرعية؟

** الفارق يكمن في أسلوب القضاة الذي يختلف عن أسلوب الفقهاء في كتابة الأحكام، لاسيما وقد كانوا قضاة على مستوى عال من العلم والفقه، وهم من أفضل القضاة الذين عرفتهم محكمة النقض، أو الإدارية العليا، أو المحكمة الدستورية، في الضبط العقلي والمنهجي.

والفقه الإسلامي بطبيعته فقه قوي، وعميق، ومتماسك، ويتمتع بالصلابة المنطقية، والقدرة على التحرك، لكن المشكل القضائي يكمن في تحريك نص ثابت على واقع متغير؛ فالحالات متنوعة جدا، والنصوص أمامنا ثابتة، لدرجة أن فقه الواقع المتغير نفسه يحتاج إلى ضوابط منهجية، وهنا يأتي دور الاستخراج المنهجي الرصين.

والقواعد التي يمنحك إياها علم أصول الفقه لها دور كبير: كيف تستخلص المعنى من العبارة؟ كيف ترفع التعارض بين نص ونص؟ كيف تقيم التماسك بين النصوص وبعضها؟... وهكذا.

أذكر مثلا أنني كنت أقرأ في كتاب لعبد الرزاق السنهوري ووجدته يقف على فكرة عند القرافي، وهي عن الرخصة والحقوق، فالحق متعين، بمعنى أنني إذا قلت إن هذا الكرسي ملكي فهذا حق، والحق يورث، أما الرخصة فهي إتاحة لا تورث، وليست حقا ماليا.. القرافي هنا يقول إنه ثمة حالة تكون بين الحق والرخصة، لا هي حق ولا هي رخصة، تورث ولا تورث! وهي حق الشفيع الذي وافق أن يأخذ بالشفعة.

وحالة القابل للإيجاب قبل أن يقبل: أنا قلت: بعتك هذا الكرسي، وأنت لم تقبل بعد، فما الحالة حتى تقبل؟ هي بين بين؛ فلا هي حق ولا هي رخصة، فالسنهوري يأخذ عن القرافي.. الفقيه القانوني أفاد من الفقيه الأصولي إذن.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

* وهل استطاع أساتذة الشريعة أن يؤثروا في وجدان طلبة الحقوق؟

** هم وضعوا الثقافة الشرعية في بؤرة ذهن الطالب كأول قانون يتعامل معه، ومن ثم تجد الفقه الإسلامي عند غالبية خريجي الحقوق العاملين في قطاع القضاء مكونا أساسيا من مكونات ثقافتهم المهنية، ولذلك تجد الكلام عن تطبيق الشريعة الإسلامية عندهم أمرا قائما غير غريب على ثقافتهم.

والحق أن الشريعة هي حياتنا اليومية، عقديا، وأخلاقيا، وشعائريا، وسلوكيا، ونحن نطبق الشريعة الإسلامية في مجال الأحوال الشخصية تطبيقا كاملا، والواقع القانوني يشهد أن القانون الوضعي هو الذي تأثر بالشريعة الإسلامية.

الإسلام والحركة الوطنية

* نعود إلى الحركة الوطنية في المرحلة الجامعية؟

** في العام 1951 كان الأستاذ خالد محمد خالد يكتب في روزاليوسف بشكل دوري، وفي أحد مقالاته قال: "وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر".

وهذا بالضبط ما يحدث اليوم، كنا في 1951 نعيش حالة من الإجماع الشعبي، على فساد الوضع القائم وحتمية تغييره، وهذا يسمونه في علم السياسة فترة أزمة حكم، أي أن الحاكمين لم يعودوا يستطيعون أن يحكموا، وأن غير الحاكمين لا يستطيعون أن يصلوا إلى الحكم.

* حالة انسداد؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

**بالضبط.. ولذلك فإن أول بيان أذاعته الثورة صباح 23 يوليو 1952 وجد ترحابا كبيرا من الناس جميعا، ولا أتصور أن أحدا –في ذلك الوقت– عارضه أو خشي منه.

* البعض يزعم أن الدين في هذه المرحلة تراجع كمكون تجديدي وسياسي رئيس؟

** اقتران الدين بالسياسة كان قائما حتى الحرب العالمية الأولى، في حزب مصطفى كامل، ومحمد فريد، وعبد العزيز جاويش...

وكان الجانب الديني مرتبطا جدا بالجانب السياسي في تفكير الحركة الوطنية المصرية وقتها، وكانت الحركة المنفصلة عن الدين هي حركة القومية المصرية الضيقة، والتي كانت تسمح بوجود الإنجليز.

ومع الحرب العالمية الأولى ونهايتها حصل الآتي:

على المستوى العالمي ألغيت الخلافة الإسلامية.

على المستوى المحلي ظهر جيل تربى في المدارس الحديثة التي فصلت الدين عن الدولة.

بعد إلغاء الخلافة وانتصار الغرب في الحرب تولد نوع من أنواع الثقة المسيحية والغربية التبشيرية بالنفس أكثر مما ينبغي، وهم الذين كانوا –قبل هذه الفترة– يتحرجون من مجرد الاقتراب من كل ما هو إسلامي!

وقتها كان مؤتمر القدس في العام 1924، الذي خلص إلى أهمية نشر المسيحية في منطقتنا ومنطقة الصين، وقبلها تكلم "إدين بيكسل" في عام 1908 عن نفس الموضوع، ودار كلام عن كيفية إقامة حاجز مسيحي ضد انتشار الإسلام في إفريقيا في وقت كان الإسلام يتوغل في الجنوب بالفعل.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

هذه الهجمة الشرسة غيرت من مواقف الكثيرين، ومنهم مثلا الكاتب الكبير والأديب محمد حسين هيكل الذي كان يكتب في هذه الفترة عن جان جاك روسو، ويعرض لفكره التنويري العلماني، وهاله ما يحدث، وهزه، وحركه، فكتب: "حياة محمد"، و"الصديق أبو بكر"، و"الفاروق عمر"، و"في منزل الوحي"... إلخ.

في هذه الفترة ظهرت حركة الإخوان المسلمين، وكانت أولى شعب الإخوان في المناطق التي تضج بالتبشير، وكأن التبشير –دون قصد منه– كان بمثابة الدافع ليقظة الجسم الإسلامي!

حسن البنا والعقاد

* هل رأيت حسن البنا؟

** رأيته مرة واحدة وأنا صغير في القرية، وأخذني جدي من يدي وقال لي الشيخ حسن البنا سيأتي إلينا اليوم، وكانت كل البيوت في استقباله؛ حيث خرج الجميع إلى الغيطان وأقاموا ما يشبه السرادق، وجاء الرجل – وكان ما يزال يلبس طربوش بشال وبدلة وعليها عباءة، وتكلم فأنصت له الجميع، ولم يشأ أن يبيت عند أحد بعينه من أهل البلد حتى لا يختصه بالزيارة دون الباقين فنام هو ومن معه بجوار المسجد حتى أذان الفجر ثم صلوا وذهبوا !

* وكيف ترى حسن البنا الآن؟

** هو وعبد الناصر وسعد زغلول، أهم 3 شخصيات مصرية في القرن العشرين.

* في كتابك الحركة السياسية في مصر لم يكن للإخوان المسلمين وجود حقيقي في طبعة الكتاب الأولى وهذا ما استدركته في الطبعات التالية .. لماذا؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

** وقتها، كانت كتب الإخوان ممنوعة من دار الكتب، ولم أجد أية مراجع تفيدني في هذا الصدد، ولذلك قرأت كل الإتجاهات والأحزاب والتنظيمات الأخرى، لأن صحفها كانت موجودة والكتب أيضا.

*اعتمدت في استدراكك في طبعة الكتاب الثانية على تقنية الإضافة وليس الحذف، حيث أضفت مقدمة تفسيرية للكتاب، ولم تحذف منه شيء .. هل كنت "عقادي" النزعة؟

** إلى حد ما، لكنني لم أكن من المهووسين بالعقاد فالرجل كان ينتمي إلى أحزاب الأقلية، وهو مما يؤخذ عليه حيث تحول من الوفد إلى السعديين، وهم أقرب إلى الملك والإنجليز مما أورثني شئ من التحفظ تجاهه.

* تحفظ مع الإعجاب؟

**نعم .. فالحق أن الرجل أثر في كثيرا، فقد كان العقاد فريدا من نوعه، وظل يكتب المقال الرئيس في الصفحة الأولى في إحدى الجرائد لأعوام متصلة دون أن تشعر يوما وأنت تقرأه بالرتابة أو الملل أو التكرار، دائما لديه ما يفيد، دائما لديه الجديد .. كان حالة.

This file was downloaded from QuranicThought.com